

وائل قنديل يكتب : عروبة مصر المذبوحة كدجاجة مستوردة



الاثنين 5 ديسمبر 2016 12:12 م

كتب: بقلم: وائل قنديل

بقلم: وائل قنديل

لم يحدث أن أهين منصب "رئيس مصر" في تاريخها كله، كما هو الحال مع عبدالفتاح السيسي، هذا الشخص هبط بمستوى حاكم أكبر دولة عربية إلى ما دون التسول والسمسة، وبيع المعنى والقيمة والمكانة، لمن يملك الثمن، ما جرى في زيارته الإمارات مثير للحن والأسى، على وطن كبير، يقوده مجموعة من الصغار الذين لا يحسب حسابهم أحد، والمعزى أكثر أن أكبر صغاره لم يعد يستشعر الحرج، أو الإهانة، لم يعد يجرح كبرياءه، أو يخذش كرامته شيء، لأنه، وببساطة شديدة، أسقط هاتين المفردتين من قاموس الحياة المصرية المعاصرة، ليس الأمر مناسبة للشماتة والتشفي، أو السخرية من المدمين على تعاطي الإهانات، وإنما هي لحظة للبكاء على اسم وطن، بات مرتببًا بأشخاص يتدلونه في الداخل والخارج، ومن ثم أصبح واجب الوقت تحرير الوطن من هذا الربط المتعسف بينه وبين من يسقونه كؤوس المهانة، أينما حلوا.

هم لا يتدلون الوطن، فقط، لكنهم يهينون معنى المواطنة، ويمارسون تكفيرًا يوميًا بها، سواء من خلال سياسات وإجراءات لا ترى في المواطنين أكثر من زبائن لبضاعتهم الفاسدة، أو عبيد يسخرونهم بالسياسات في ملكهم.

يهين عبدالفتاح السيسي الوطن، عندما يجعل عقيدته الأساسية التريح والتكسب بأي وسيلة، ابتزازًا أو تسولًا أو نشاطًا إجراميًا، بالأجر، لدى كل مشاريع الشر في العالم.

يضع نفسه تحت إمرة روسيا، ورهن إشارة إسرائيل، يتزلف إلى "الترامبية الصاعدة" في كل مكان في العالم، ومع كل خطوة يقطعها في هذا الاتجاه، يتعد بمصر خطوتين، وأكثر عن كينونتها وهويتها وتاريخها، الأمر الذي ينبغي أن يشعر معه الذين تحمسوا لانقلابه بالخجل، كونهم برروا سقوتهم بأذوبة الحفاظ على هوية مصر.

حري بذوي الأبصار والبصائر في هذه اللحظة الكئيبة أن يسألوا أنفسهم: ماذا جرى للهوية المصرية على يد جنرالهم المدلل؟! حدثونا عن مدينة دولة تحولت إلى دجاجة مجمدة، مستوردة، للبيع في ثلاث العسكر، وبات الهتاف ضد حكم الجنرالات كافيًا لاقتياد صاحبه إلى جحيم الكفر بالوطن، وبالدين؟ طمئنوننا على مصر المدنية في لحظة باتت الشكوى من نار الغلاء "العسكري" أقرب طريق إلى الاتهام بالإرهاب و"الأخونة".

أخبرونا عن مصر "العربية" وشيوخها وسلطينها يعلنون على الملأ أن عدوها ليس المستعمر الصهيوني، وإنما هو الشقيق الفلسطيني المقاوم والأخ القطري والجار التركي.

ماذا عن مدينة دولة أصبح معارضوها مهددين، طوال الوقت، بتجريدتهم من هويتهم الوطنية، وإسقاط الجنسية عنهم، ومصادرة حقهم في الكلام وفي السفر، والتحفظ على ما يملكون؟

على مدار الأسبوعيين الماضيين فقط، كان إسقاط الجنسية عن معارضي السيسي عنوانًا متكررًا في الصحف وعلى الشاشات، في حفاوة بالغة بدعاوى أصحاب توكيل الوطنية الرخيصة، على نحو بات مهينًا للقضاء المصري ذاته، الذي يجد نفسه مطالبًا بالنظر في نكات سخيفة ثقيلة الظل باعتبارها دعاوى قضائية، تسيء إلى القضاء أكثر من إساءتها للمدعى عليهم.

يذهب مضمون تقرير هيئة المفوضين التابعة لمجلس الدولة المصري، في هذا الشأن، إلى أن دعاوى إسقاط الجنسية صارت أشبه بممارسات التكفير في عصور الظلام، إذ يقول التقرير نصًا "إن المحامي ليست له أي صفة أو مصلحة شخصية مباشرة لرفع الدعوى، ما جعلها تأخذ شكل دعوى الحسبة، لأنها تتضمن تدخلًا في صميم عمل واختصاص الجهة الإدارية التي أناط بها المشرع سلطة إسقاط الجنسية عن المواطنين، إذا توافرت حالات حددها المادة 16 من قانون الجنسية، حماية لحق المواطنين في الجنسية، باعتباره حقًا طبيعيًا وأصيلًا من حقوق الإنسان".

تلك هي ملامح "الدولة المدنية" التي أقامها عبدالفتاح السيسي فوق أنقاض حلم ثورة يناير المحطمة، وسط تصفيق حاد من رموز المدنية الزائفة الذين برروا قتل الإنسان، وإحراق المعنى، واغتصاب الحقوق، من أجل إنقاذ هوية مصر من براثن حكم محمد مرسي و"الإخوان"، فكانت النتيجة أن شأهت الهوية وحلت الهاوية.

